مَسٌّ مِنْ حُبٍّ

يصعبُ تصورُ حالَ الممسوسِ بالحبِ، ويصعبُ أكثر تصويرُهُ. فكيف لفاقدِ رئتيهِ أن يتنفسَ لأنَّهُ يمتلكُ صدراً؟

هكذا هو حالُ الشعرِ في حالةِ أخي الأستاذ كاظم الخليفة في فقدهِ شريكةِ النبضِ والنفسِ والحياةِ السيدة وردة السيد باقر الشخص

قوموا إلى هذا "الأنا" وتحسَّسوا

وتفقَّدوا إنْ كانَ فيَّ تنفسُ

وتأملوا طيني.. أعادَ بنفخةٍ

من روحِها في قبرِها وتلمَّسوا

عودوا بها وارموا قميصَها ظلمتي

يرتدُّ عمريَ مبصراً لا يُغمَسُ

عودوا بيوسفَ فالحياةُ ضريرةٌ

والشِّعرُ أبكمُ والمهلهلُ أخرسُ

يا صبرَ أيوبَ المعالجَ حزنِهِ

هلْ لي بصبرٍ لا يموتُ ويفطسُ

جـــيـشٌ يـرافـقُ مـقـلـتيَ فـيـا تـــرى

طـــرفٌ تـُـشـقّـِـقـهُ الـــدّ ُمـوعُ أيـنـعسُ

صـــدري يـُـحـاصـرُهُ الـوجيبُ وحـسرةٌ

تـجـثو عـلـى صـدرٍ يـفـورُ وتـدهـسُ

حـــزنـي عـــرمـرمُ والـنّ َحيبُ فـيـالقٌ

وأنـــــا وحـــيـدٌ والـشّ َجى مـتـمـرّ ِسُ

وأنـــا خـــريـفٌ قـشّ َرتـني عـــواصـفٌ

هـــوجٌ يـعـاضـدُها الـيـبـابُ الأتـعـسُ

وأنـــــا غـــريـــبٌ والـــتّ َذكـرُ وحـــشـــةٌ

فـبـمـا أغـــيـبُ وطـيـفُـها يـتـجـسّ َسُ

أأروغُ عـــــنْ بـــثّ ِـــي بـصـمـتِ تـجـلّ ُدٍ

والآهُ فـــــي ثـــغـري أنـــا تـتـفـلسفُ

أفـلستُ مـن وجـدي وجـئتُ مـبعثراً

مـتسائلاً عـنّي: أ قـلـبيّ َ مـفلسُ..؟!

وأقـــومُ لـــلـذّ ِكـرى لأنـــثـــرَ طـعـمَـهـا

ورداً ولـــكـــنّ َ الـــمـصـائـبَ تـكـــنـسُ

وأُخـــاتـــلُ الأيـــــامَ حـــيـــنَ أخـــالُـهـا

قـــصـــراً ولـــكـــنّ َ الـــقـبـورَ تُـــنـكّ ِسُ

وأظـــــنّ ُ أنّ َـــنـــي لـلـسـلـوّ ِ مُـــكَـرّ ِسـاً

لـــكـنّ َـمـا غـــمّ ِـــي الـــــذي يـــتـكـرّ َسُ

نـــــارٌ تـــوقّ َـدُ فـــي حـشـايَ ولـيـتـني

أُشـــوى بـــهـا لا أنّ َ نـــاريَ تـفـقـسُ

هـــــذا الـجـحـيـمُ وذكـــرُهـــا مـــتـكـرّ ِرٌ

وأنـــــا أُكـــرّ َرُ فـــي الـعـذابِ وأُحـبـسُ

با ِ هـــلْ هـــذا الأديـــمُ مـواجعي؟!

أمْ أنّ َـــنـــي دمـــعٌ وحـزنـيَ مَـلـبسُ؟!

هـــلْ أنّ َـــنـي حـــيّ ٌ أعـيـشُ بـزفـرةٍ؟

أمْ انّ َ الجوى موتٌ وفقدَها مَرْمَسُ؟

أنفقتُها عمراً أشاحَ بوردِها

عني بأظلمِ ما يجورُ النّرجسُ

كمدٌ تفرعنَ واسترقّ حنانَنا

وعلى الفؤادِ بجورِهِ يتغطرسُ

وجعٌ تمرّسَ في انتهاكِ لواعجي

كبداً يلوكُها بالفراقِ ويهرسُ

آهٌ تفورُ بنارِها، وسعيرُها

في شهقتي حممٌ تُذيبُ وترمسُ

ويضجّ بي صمتٌ مقيتٌ أهوجٌ

يجتاحُني فالشّوقُ بعدها مُخرِسُ

ويقولُ دمعي ما يشاءُ وما أشا

فالدمعُ أفصحُ مَنْ يبوحُ وينبسُ

ويسيرُ بي عمرٌ كئيبٌ أعرجٌ

وحدي ويخطفني الحنينُ ويحبسُ

يـــا مـــبـحـراً قـــلْ لـلـمـوانـئ أنّـَـنـا

تـهـنا ولـمْ يـُـهدى الـشّـَواطئَ نـورسُ

مِـــنْ أي ذكـــرى قـــدْ أعـــودُ ولـيـتني

أرســـــو ومـــوجـي لا أراهُ يـــؤسّـِـسُ

يـــا وردةً فـــي بـيـتِ قـلـبي عـطرُها

وشـذاهـا أضـــوعُ مـــا يـفوحُ وأنـفـَسُ

مـــــا لـلـقـبـورِ ووردةٍ يـُـرمـــى بـــهـــا

فـي بـطنِها ولـها الـرّ ِياضُ تهندّ َسُ؟!

فـــي "مـزهـريات ِ" الـجـمالِ وقـوفُها

ومـيـاسُها مـــسٌّ لـروحـي ومـلمسُ

أيـضـمّ ُهـا ثـــقـــلُ الـــثّ َـــرى ويـدسّ ُهـا

لِـيـبـورَ بـسـتـاني الأنـيـقُ الأقـــدسُ

يـــا أخـضـرَ الآيـــاتِ فـــوقَ حـديـقتي

مـــــاذا سـيـنـبتُ إذ ذوتْ أو يـــــدرسُ

مِـــنْ غـيـرِهـا كـلّ ُ الـحـدائقِ قـفـرةٌ

ومـــقـابـرٌ فـــيـهـا الـــخـرابُ مـكـدّ َسُ

مَـنْ غـيرُها يـسقي الـزهورَ حـكايةً

لـلـحـلمِ تـنـهـضُ بـالـبـذورِ وتـــغـرسُ

جـمـرٌ عـلـى قـلـبي يـفـيقُ بـذكرِها

مـــا هـبّ َ بـــي شـــوقٌ لـهـا يـتـنفسُ

مـتـوجّ ِسا ً مِـــنْ كـــلّ ِ طـيـفٍ سـاهـرٍ

وخـــواطـــرٍ فـــي يـقـظـةٍ لا تـنـعـسُ

مـــا لـــي وللـمـوتِ الـعَـجولِ أبـادني

لـم يُـبـقِ لـي مـن بـعدِها مـا يـؤنسُ

كـــمـــدا ً عـلـيـهـا أمـــاتـنـي وأدامَ ـــهـا

مَـلِـكا ً عـلى عـرشِ المشاعرِ يجلسُ